مجلّة الواحات للبحوث و الدراسات العدد 08 (2010) : 321 – 327



مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 08 (2010) : 321 – 327
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

دور التقويم في العملية التعليمية الجامعية

صالح بوسليم[1] وعباس بن الشيخ[2]
1 ـقسم التاريخ المركز الجامعي لغرداية
2 ـقسم اللغة العربية المركز الجامعي لغرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

تمهيد:

استخدم التقويم بمعناه العام في حياة المجتمعات بشكل أو بآخر منذ القدم إلا أنه يصعب تحديد البداية الزمنية له، ويقرر الصانع(1) أن دوبو **Dubois** يرجع ظهور التقويم التربوي إلى عهد إمبراطورية الصين القديمة قبل أكثر من أربعة آلاف سنة.

وبالرجوع إلى كتابات العرب والمسلمين نجدهم قد تناولوا هذه الكلمة "تقويم" بشكل واسع، إلا أنهم استخدموها بدلالات متعددة حسب المقام والمقال(2). فبالنسبة للمقام يقول اهل مكة استقام السلعة وقومها، والقيمة ثمن الشيء، وقوم الشيء عدله، ومنها أيضا تقويم البلدان لبيات طولها وعرضها، ويسمى حساب الأوقات أيضا بالتقويم بمعنى قياس وضبط التاريخ واليوم.

أما بالنسبة المقال فقد استخدم العرب كنايات مثل قولهم فلان عريض القفا كناية عن الغباء(3) واعتمدوا في ذلك على الفراسة؛ وهي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخافية الباطنة.

أما في المجال التربوي فقد ارتبطت كلمة التقويم(4) بإصدار الأحكام واتخاذ القرارات المتعلقة بكل من المعلم والمتعلم والمنهج أو المادة في ضوء معايير محددة كتلك التي وضعها الغزالي في الإحياء(5) كشروط للمعلم من مثل استكمال عدة المنصب والتفرغ للعمل، أو شروط للمتعلم كالتواضع والنظر إلى العلوم النافعة او بالنسبة للمنهج كقيمته أو أثره التدريسي، أو التي وضعها ابن سحنون في آداب العالم والمتعلم(6) أو ابن خلدون في مقدمته(7) بخصوص شروط التعلم حيث يقول: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدرج شيئا فشيئا وقليلا فقليلا يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن. وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك المرتبة إلى أعلى منها ويستوفي

الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى أخر الفن فنجود ملكته، ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا معلقا إلا وضحه وفتح له مغلقه فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ... ".

أما حديثا فقد ارتبط ظهور التقويم التربوي بمعناه الضيق المتمثل في الامتحانات بظهور المدارس وعرف بعد ذلك تغيرات كثيرة في مفهومه وأساليبه واتجاهاته نتيجة تأثره بتطور الفكر التربوي ونظريات التربية الحديثة من جهة، والموقف المتغير له نتيجة التغيير الحاصل في مجال القياس وأدواته باعتباره أساسا لعملية التقويم من جهة ثانية.

ويجدر بنا قبل الحديث عن التقويم ودوره في العملية التعليمية الجامعية أن نحدد مفهوم التقويم لغة واصطلاحا على النحو التالي:

–التقويم لغة: تعني كلمة التقويم في أصلها اللغوي تقدير الشيء وإعطائه قيمته والحكم عليه وإصلاح اعوجاجه حيث جاء في لسان العرب لابن منظور(8) تحت مادة قوّم:قوم السلعة واستقامها : قدّرها، ويرى أن أصل الفعل قوَّم لا قيَّم وهي من أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، والاستقامة هي التقويم لقول أهل مكة :استقمت المتاع أي قومته وفي الحديث قالوا يا رسول الله ﷺ لو قومت لنا فقال: الله هو المقوم أي لو سعرت لنا، أي حددت لنا قيمته.

كما جاء في القاموس المحيط(9) أن التقويم من قوم يقوم تقويما الشيء، أزال اعوجاجه، وقوم المتاع جعل له قيمة معلومة، وقومته عدلته فهو قويم.

ويلاحظ أن هناك خلط في استخدام كلمتي التقويم والتقييم حيث يعتقد الكثيرون بأن كليهما يعطي المعنى ذاته وإنما يفيدان في بيان قيمة الشيء، إلا أن كلمة التقويم صحيحة لغويا وهي الأكثر انتشارا في الاستعمال بين الناس كما أنها تعني بالإضافة إلى بيان قيمة الشيء؛ تعديل أو تصحيح ما اعوج منه، أما كلمة تقييم فتدل على إعطاء قيمة الشيء فقط(10) ومن هنا نجد كلمة التقويم أعم وأشمل من كلمة تقييم حيث لا يقف التقويم عند حد بيان قيمة شيء ما بل لابد كذلك من محاولة إصلاحه وتعديله بعد الحكم عليه.

التقويم اصطلاحا: من حيث المصطلح التربوي نجد تعريفات محاولات كثيرة لتحديد مفهوم لتقويم التربوي قد تتقارب وقد تتباعد إلى حد كبير. من ذلك ما أورده دي كاتل **j.M.de ketele** بأنه: فحص ومعاينة درجة الملائمة بين مجموعة إعلامية ومجوعة من المعايير للأهداف المحددة من أجل اتخاذ قرار(11).

وما أورده ميجر **R.F.Mager** بأنه: مقارنة مقياس **standard** مع مثال معيار ثم إصدار حكم على المقارنة(12) ويرى بلوم **Bloom** بأنه مجموعة منظمة من الأدلة التي تبين فيما إذا جرت بالفعل تغييرات على مجموعة المتعلمين مع تحديد مقدار أو درجة ذلك التغيير(13).

بالنظر إلى هذه التعريفات نجد أنها تركز على جوانب مشتركة من أهمها:

– إن التقويم يتضمن عملية جمع المعلومات الضرورية والكافية التي تسمح بالانتقاء من بين مجموعة من الاختيارات انطلاقا من الأهداف ا لمددة.

– يتضمن التقويم القياس وذلك باستخدامه لأدوات قياسية مضبوطة ودقيقة تربط بين تقدير وحكم أو عدد رقمي بشيء أو حدث حسب قاعدة مقبولة ومتعارف عليها.

– يتضمن التقويم إصدار الحكم ويعني ذلك إعطاء قيمة نتيجة القياس مقابل معيار أو قانون القياس ومعيار أو قانون أخر للمقارنة بوضع النتيجة في إطارها المرجعي لتكتسب دلالتها وبذلك فإننا نقيس لنقوم وما القياس إلا مرحلة أولية للتقويم.

مما سبق يمكن أن نخلـ إلى أن مفهوم التقويم التربوي البيداغوجي مفهوم شامل وأعم من مجرد جمع المعلومات أو القياس أو إصدار الأحكام، بل هو عملية مستمرة تتطلب كل تلك العمليات. وبعبارة أخرى فالتقويم التربوي هو تحديد فعالية العملية التربوية والاهتمام بكل جوانبها بغرض تقديم بيانات واقعية لصانعي القرار تساعده في عمليات التشخيـ والعلاج واختيار البدائل من الحلول المتاحة.

التقويم الجامعي:

يتضمن مفهوم التقويم **Evaluation** عملية إصدار الحكم على الأشياء أو الأشخاص أو الموضوعات، وهو بهذا المعنى يتطلب استخدام معايير أو محكات لتقدير هذه القيمة، كما يتضمن معنى التحسين أو التعديل أو التطوير الذي يعتمد على هذه الأحكام[14].

ويعتبر التقويم ركناً أساساً من أركان أي مشروع نمارسه في حياتنا، حيث به نستطيع أن نتعرف على مدى ما بلغنا من تحقيق أهداف المشروع، وما هي الأهداف التي لم تتحقق كما ينبغي؟ أي بالتقويم يمكن أن نعرف نواحي القوه ونواحي الضعف في تخطيط وتنفيذ المشروع.

وقد تزايدت أهمية التقويم بالنسبة لجميع الناس وفق التقدم الحضاري، وتعقد أمور الحياة، وتزايد أهمية الطاقة التي يبذلها الإنسان، والمال الذي ينفقه، والوقت الذي يتطلبه أداء الأعمال، ولقد أصبحنا في زمن يلح فيه الناس على إحراز النجاح إشباعا للحاجات وتحقيقا للذات، وارتفاعاً بمستوى الحياة، وإذا لم يكن النجاح الذي يحرزه الإنسان كاملا، فمن الأهمية بمكان أن يتعرف على المشكلات والمعوقات ابتغاء لمزيد من النجاح، وذلك هو التقويم[15].

وانطلاقا من هذا التصور يمكن تحديد ثلاث مكونات للتقويم كل منها تجيب على سؤال أساسي وهذه المكونات هي:

1- المعلومات وذلك للإجابة على السؤال ما الذي نحتاج أن نعرفه؟

2- الأسلوب وذلك للإجابة على السؤال كيف نبحث عما نريد أن نعرفه؟

3- الغرض وذلك لإجابة على السؤال لماذا نحتاج أن نعرف؟

وبذلك يمكن النظر إلى التقويم بأنه:

– وسيلة لمعرفة الأدلة اللازمة لتحسين عمليتي التعليم والتعلم.

– يتضمن التقويم أدلة متعددة غير قاصرة على امتحانات آخر العام.

– التقويم كوسيلة محددة لتوضيح الأغراض العامة والخاصة للتربية ولمعرفة إلى أي مدى يحقق الطلاب تلك الأهداف المرغوب فيها.

– التقويم كنظام لضبط كيفية التعلم أي عن طريق التقويم يمكن تحديد مدى كفاءة العملية التربوية في المراحل التعليمية الجامعية المختلفة، فإذا ثبت عن طريق التقويم أن هناك قصوراً، فما هي التغييرات التي يمكن إدخالها للتحسين قبل فوات الأوان؟ وأخيراً؛ التقويم كأداة مستخدمة في العملية التربوية من كفاءة الإجراءات البديلة في تحقيق الغايات التعليمية؟

– التقويم الجامعي بمفهومه الواسع الشامل:

إن التقويم بمفهومه الشامل الواسع يأخذ بالاعتبار كل جوانب العملية التعليمية باعتبار هذه الجوانب في وحدة عضوية متكاملة.

فهو يأخذ في الاعتبار مدى نمو الطالب الجامعي في جميع الجوانب الروحية والعقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية وذلك لإعداده للمواطنة الصالحة تحقيقا للأهداف التربوية المنشودة. كما يأخذ التقويم بمفهومه الواسع طرق التدريس، والمقررات الدراسية والكتب والمراجع العلمية، وكذلك الأنشطة التعليمية التي تمارس سواء داخل حجرات الدراسة أو خارجها، كما يأخذ بالاعتبار تقنيات التعليم المستخدمة في العملية التعليمية ومدى توافرها وكفاءة استخدامها، وأيضا يأخذ التقويم بمفهومه الواسع وسائل التقويم الجامعي المتبعة من اختبارات وامتحانات ومقاييس وخلافه، كما يشمل أيضا الإدارة الجامعية من عمادة وسكرتارية وشؤون طلاب ومدى تحقيقها للأهداف المرجوة منها. بل يشمل أيضا المباني الجامعية والمعامل ومدى توافرها وكفاءة استخدامها من حيث مواردها وأجهزتها. بل يشمل أيضا التقويم بمفهومه الواسع الأثاثات والتجهيزات ومدى كفاية الإضاءة والتهوية في هذه المباني وتلك المعامل باعتبار أن كل هذه العوامل تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

وسوف نكتفي بالحديث هنا عن تقويم الطالب الجامعي ونموه باعتباره ا ور الأساسي الذي تدور حوله التربية الجامعية بقصد توجيه سلوكه واكتشاف مواهبه واستعداداته وتفجير طاقاته ومساعدته على تحقيق أقصى إمكاناته[16].

ولقد ظهرت اتجاهات عدة في التقويم التربوي تنسجم مع التطورات المرغوب فيها في أهداف التعليم وبنيته ومحتواه والجوانب المختلفة المتصلة به. ويمكن إيجاز أهم هذه الاتجاهات فيما يلي[17]:

1– تحول التقويم التربوي من مجرد أداة محدودة مهمتها فرز الطلاب وتصفيتهم طوال تنقلهم على السلم التعليمي إلى عملية واسعة تضطلع بالوظائف التالية:

أ– إلقاء الضوء (بواسطة ما يجمع ويعالج من بيانات) على نمو الطالب أثناء تعلمه للإفادة

منها في حسن توجيه نموه، وتوظيف هذا النمو واضطراده.

ب– التعرف على مدى واقعية أهداف التعليم ووضوحها وقابليتها للتحقيق.

ج– تنمية القدرة الذاتية لدى الطالب على الحكم والتقدير، والمراجعة التي تعتبر من أهم ما ينبغي أن يتسلح به المواطن في حياتنا معاصرة.

2– يوجه التقويم التربوي بمفهومه الجديد عناية خاصة إلى الفهم والى التفكير اعلمي وتنمية قدراته ومهاراته، وكذلك إلى التطبيقات العملية الوثيقة الصلة بموقف الحياة ومشكلاتها.

3– يتجه التقويم التربوي بمفهومه الجديد إلى النظر إلى كل متعلم على انه نموذج من ذاته، وحالة منفردة، وهذا الاتجاه ينسجم مع مبدأ تفريد التعليم الذي صار إحدى الصيحات التربوية في عالمنا المعاصر. كما يشجع هذا التقويم مبدأ تعزيز ذاتية الفرد، وتزويده بالقدرة على توجيه نفسه بنفسه. وبناءا على ذلك تستخدم أساليب التقويم الذاتي بجانب التقويم الجماعي.

وظائف التقويم الجامعي:

يستهدف التقويم الجامعي تحسين العملية التعليمية التربوية في الجامعة بجميع مقوماتها وسائر أبعادها، وإتاحة الفرص المناسبة لمراجعة مناهجها وطرقها ونظمها وأساليبها. فيعتبر التقويم الجامعي هو صمام الأمان لهذه العملية التعليمية التربوية حيث أن له وظائف متعددة يمكن أن نلخ أهمها فيما يلي[17]:

1- التقويم حافز على الدراسة والعمل: للتقويم قوة حافزة كبيرة على الدارسة والعمل وبذل الجهد. ذلك أننا نعيش في عصر التسابق سواء بين الأفراد الجماعات. وإذا كان التقويم هو وسيلتنا لإصدار الأحكام على الأفراد والأعمال، فانه يعد من وجهة نظر الطلاب مفتاح النجاح في الحياة.ولذا بجد كثيرا من الطلاب لا يركزون الطاقة ويبذلون الجهود إلا بوحي من حاف الامتحانات والتقويم. لذلك نجد أن كثيرا منهم ينصرفون عن المجالات التي لا يؤدون امتحانات فيها، ولا تدخل في مجال تقويمهم، حتى ولو كانت من لهوايات والأعمال ا ببة إليهم[18]. فالتقويم الجامعي يعد من الحوافز الأساسية لطلاب الجامعة لبذل مزيد من الجهد في سبيل التنمية المنشودة وذلك بالإضافة إلى أنه يساعد الطالب الجامعي عل اكتشاف قدراته ومواهبه لتحقيق الأماني وتحسين الذات.

2- التقويم وسيلة للتشخي والعلاج والوقاية: يساعد التقويم الجامعي على تحديد وكشف نواحي القوة أو الضعف سواء في عمل الطلاب ومجالات نموهم المختلفة، أو في المناهج والمقرات الجامعية مادة وكتاباً، وطرق تدريس، وتقنيات تعليم، ونشاطاً وخطة، وحياة جامعية شاملة وبذلك نستطيع أن نحدد العوامل المؤثرة على سير العملية التعليمية في الجامعة ونتخذ من الوسائل وأساليب العلاج ما يعين على حل المشكلات، وبلوغ الأهداف المنشودة[19]. بل والعمل على الوقاية من الانحرافات والأخطاء قبل وقوعها.

3- التقويم يساعد على وضوح الأهداف:

عندما يكون التقويم هادفاً، فانه يساعد على وضوح الأهداف التي يرجى بلوغها، كما انه يعطي نماذج لتطبيق هذه الأهداف، وبذلك يزداد المعلمون والطلاب وعياً بها وعملا على تحقيقها[20]. فالتقويم الذي يُعنى بالجوانب العملية أو التطبيقية، أو بأسلوب التفكير العلمي، أو بربط الدراسة بحياة الطالب، إنما يرسخ هذه الأهداف ويوجه المعلمين والطلاب نحو الاهتمام بها.

4- التقويم يساعد الأستاذ الجامعي على التعرف على طلابه وحسن توجيهم:

لا يستطيع الأستاذ الجامعي أن يؤدي رسالته على أفضل وجه مكن إلا إذا عرف الطلاب، ذلك أنه لا بد أن يبدأ معهم من واقع خبرتهم، وان يكتشف قدراتهم واستعداداتهم وميولهم واتجاهاتهم، وان يراعي الفروق الفردية بينهم.

ولا سبيل إلى كل ذلك إلا عن طريق التقويم بأساليبه العديدة المتنوعة سؤلاً وجواباً، ومناقشة، وحواراً، وملاحظة وتقديراً لجهودهم ونشاطاتهم وعلاقاتهم. وفي ضوء ما يتضح للأستاذ الجامعي من نتائج تقديمه لطلابه، فانه يستطيع أن يأخذ بأيديهم ويوفر لهم الإمكانات التي تساعد على الوصول بكل منهم إلى أقصى إمكاناته.

5- للتقويم دور كبير في تطوير المناهج وتحديثها:

إن تطوير المناهج الجامعية وتحديثها أصبح من الأمور الأساسية في لمجال التربوي، وملاحظة للتقدم العلمي والتربوي المعاصر، وخصائ العصر وحاجات الطلاب، ومطالب نموهم، ومتطلبات حياتهم الاجتماعية. والتطوير العلمي يبدأ بتقويم الواقع التربوي تحديداً للمشكلات ونواحي القصور. ويجب أن ينتهي التطوير بعمليات تقويم شاملة لاختبار صحة الفروض التي يقوم عليها التطوير، وتحديد مشكلات التطبيق والعمل على علاجها.

6- للتقويم وظائف إدارية هامة:

فالتقويم ضروري لقبول الطلاب بالجامعة، وتحديد أوضاع هؤلاء الطلاب فيها. كما أنه لازم لعمليات الترقي من مستوى إلى آخر، وهو أساس لتوجيه الطلاب دراسياً ومهنياً.

وصفوة القول؛ أن التقويم الجامعي الجيد هو الذي تكون له أهداف واضحة محددة يريد أن يتثبت من تحقيقها بمستوى إتقان معين، أو من تحقيق بعضها وعدم تحقيق البعض الآخر وذلك لتحديد أهم الصعاب والمشكلات التي أدت إلى عدم تحقيق بعض الأهداف. وبدون أن يكون التقويم الجامعي هادفا فانه لايبشر بخير، حيث يصبح ارتجالياً وتخبطاً لايساعد على إصدار الأحكام السليمة واتخاذ الحلول السليمة.

وإذا كان الغرض من التقويم هو معرفة مدى ما بلغناه من نجاح في تحقيق الغايات والأهداف بغرض التشخي والعلاج ، والوقاية والتحسين فان ذلك لايتحقق إلا إذا كان التقويم مستمراً وملازماً للتعليم في جميع خطواته ومراحله.

الهوامش:

(1) الصانع وآخرون،تقويم المناهج التربوية في الوطن العربي، المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، 1981،ص:28.

(2) ابن منظور، لسان العرب،(د.ت)، مجلد 12، ص:500.

(3) عيساوي عبد الرحمن، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1974، ص:08.

(4) الصانع وآخرون، مرجع سابق، ص: 29.

(5) أبو حامد الغزالي، أحياء عوم الدين، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، (د.ت).

(6) ابن سحنون محمد، آداب المعلمين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1969.

(7) ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار الشعب، القاهرة، 1969.

(8) ابن منظور، مرجع سابق.

(9) الفيروز ابادي، القاموس ا يط، (د.ت)، المجلد 04، ص: 170.

(10) سبع محمد ابو لبدة، مبادئ القياس النفسي والتقويم التربوي لطالب الجامعي والمعلم العربي، الاردن، عمان، 1979،ص:61.

(11) J.M D e ketele, Docimologie, introduction aux concepts et aux pratiques. Caday,1982.

(12) R.F Mager comment mesurer les résultats de l'enseignements, Bordas, 1986.

(13) بلوم وآخرون، تقييم تعلم الطالب،تر: محمد أمين المفتي وآخرون، دار ماكروهيل، 1983، ص:08.

(14) فؤاد أبو حطب، سيد عثمان، التقويم النفسي، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،1979،ص:9.

(15) سرحان الدمرداش، المناهج المعاصرة،ط4،مكتبة الفلاح، الكويت،1983،ص:12 وما يليها.

(16) محمد أحمد الغنام،" نحو رؤية جديدة للتقويم التربوي، نظرة نظامية"،محاضرات في التقويم التربوي:مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض،1983،ص: 98–99.

(17) سرحان الدمرداش، المرجع السابق،ص :115.

(18) المرجع نفسه، ص ص: 131–139.

(19) المرجع نفسه، ص ص: 131–139.

(20) المرجع نفسه، ص ص: 141 وما يليها.